جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ
مقياس تاريخ المشرق الإسلامي ق2-8هـ/8-14م
د. بلال ساحلي
البريد الالكتروني: b.sahli@univ-dbkm.dz

المحاضرة الخامسة:

4- العصر العباسي الثالث: نفوذ السلاطين البويهيين 334-447هـ/945-1056م:

- خلفاء العصر العباسي الثالث:

22- المستكفي بالله بن المعتضد أحمد (333-334هـ/945-946م).

23- المطيع لله، الفضل بن جعفر المقتدر بالله(334-363هـ/946-974م).

24- الطائع لله، عبد الكريم بن المفضل المطيع لله (363-381هـ/974-992م).

25- القادر بالله، أحمد بن المقتدر بالله(381-422هـ/992-1031م).

26- القائم بأمر الله، عبد الله بن أحمد القادر بالله (422-467هـ/1031-1075م).

- قائمة السلاطين البويهيّين الذين حكموا في العراق خلال العصر االعباسي الثالث:

1- معزّ الدولة، أبو الحسين أحمد(320- 356هـ/ 932- 967م).

2- عزّ الدولة بختيار (356- 367هـ/ 976- 978م).

3- عضد الدولة، أبو شجاع خسرو(367- 372هـ/ 978- 983م).

4- شرف الدولة، أبو الفوارس شيرزاد(372- 379هـ/ 983- 990م).

5- بهاء الدولة، أبو نصر(379- 403هـ/ 990- 1013م).

6- سلطان الدولة، أبو شجاع (403- 412هـ/ 1013- 1022م).

7- مشرف الدولة، أبو علي(412- 416هـ/ 1022- 1026م).

8- أبو طاهر، جلال الدولة (416- 435هـ/ 1026- 1044م).

9- أبو كاليجار، مرزبان (435- 440هـ/ 1044- 1049م).

10- الملك الرحيم، أبو نصر خسرو فيروز (440-447هـ/ 1049-1056م).

أ- أصل البويهيين ودخولهم إلى العراق:

كانت بداية ظهور الديلم في سنة 222هـ/837م لأنها السنة التي استولى فيها القائد علي بن بويه على بلاد فارس بعد انتصاره على محمد بن ياقوت نائب الخليفة، ولكن قبل ذلك تذكر المصادر التاريخية قصة خيالية حول بداية ظهور البوييهيين إذ أنَّ والدهم بويه كان فقيرا صعلوكاً يمتهن صيد السمك، فرأى في المنام كأنَّه بالَ فخرج منه عمود نار، ثم تشعب العمود حتى ملأ الدنيا، فعُبِّرت هذه الرؤيا بأن أولاده يملكون الدنيا ويبلغ سلطانهم على قدر ما احتوت عليه النار .

وعلى ضوء هذه القصة قيل أن أبناء بويه في بداية أمرهم كانوا جنوداً في جيش مرداويج بن زياد الديلمي(ت222هـ/837م) ثم ارتقوا في سلم القيادة حتى أصبح شقيقهم الأكبر علي بن بويه قائد الجيش الأول، ثم بعد وفاة مرداويج طمع علي بن بويه وإخوته في الملك، خاصة بعد أن حققوا سلسلة من الانتصارات في بلاد فارس مكنتهم من بسط نفوذهم على كثير من الأقاليم، وخلال تلك الفترة ظلت أعينهم ترقب العراق وما يعانيه في ظل التسلط التركي، فربطوا مع الخلفاء العباسيين في بداية الأمر علاقة ضبابية يشوبها نوع من إظهار الولاء مصحوب بنية مبيتة في منازعتهم على الملك، بدليل أن علي بن بويه كان يبعث للخليفة الراضي من أجل أن يقتطع له البلاد التي يستولي عليها مقابل أموال يدفعها للخليفة، لكنه في نفس الوقت كان يماطل في دفع الأموال ويتحايل على الخليفة.

ولأن الدولة العباسية فقدت هيبتها خاصة منذ سنة 225هـ/840م كنتيجة حتمية للتطاحن بين الأتراك فإن أحمد بن بويه استغل تلك الظروف وزحف بجيش البويهيين بالتدريج إلى أن دخل إلى بغداد على رأس جيشٍ أجنبي سنة 333هـ/945م، زرع الرعب في نفوس العراقيين، وصاحب دخوله موت توزون آخر القادة الأتراك المتسلطين على الدولة العباسية وهروب كاتبه شيرزاد الذي كان طامعا في ملك العراق قبل وصول البويهيين.

ولم يكتفي البويهيون بإرث التسلط التركي بل أضافوا عليه إنشاء إمارةً وراثيّة داخل الجسد العباسي، ولكنّهم حافظوا على المكانة الرمزيّة للعبّاسيّين بصفتهم خلفاء على الأمة ليس اعترافاً لهم بالخلافة وإنما طمعًا ورغبة في الملك تحت ظلّهم؛ لأنّ البويهيين الديلم كانوا يتشيّعون، ويغالون في التشيع، ويعتقدون أنّ العبّاسيّين قد غصَبوا الخلافة، وأخذوها من مستحِقِّيهَا العلويين، فلم يكن للبويهيين باعث ديني يحثّهم على الطاعة، فقام معزّ الدولة أحمد بن بويه باستشارة جماعة من أصحابه في إخراج الخلافة من العبّاسيّين، والبيعة للمعزّ العلوي، فكلّهم أشار عليه بذلك ما عدا بعض خواصّه، فإنّه قال:"ليس هذا برأيٍ، فإنّك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنّه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرْتَهم بقتله لقتلوه مستحلّين دمه، ومتى أجلستَ بعض العلويين خليفة، كان معك مَنْ يعتقد أنت

وأصحابك صحّة خلافته، فلو أمَرَهم بقتلك؛ لفعلوه"، فأعرض عن ذلك، وتسلّم معزّ الدولة العراق بأسره، ولم يبق بيد الخليفة منه شيء البتّة، إلّا ما أقطعه معزّ الدولة، ممّا يقوم ببعض حاجاته.

في المقابل لم يجد الخليفة العباسي المستكفي بالله ما يواجه به دخول البويهيين إلى بغداد سوى البروتوكولات الرسمية والتشريفات الرمزية، طلباً لاسترضاء البويهيين واتقاء شرهم، حيث أنه استقبل أحمد بن بويه في دار الخلافة، وقلده الإمارة، ولقبه: "معز الدولة"، ولقب أخاه علي: "عماد الدولة"، ولقب الحسن: "ركن الدولة"، وضربت ألقابهم على السكة، وهذا يبين لنا حجم الرعب الذي جاء به البويهيون إلى العراق لدرجة حتى القرامطة الذين عاثوا في العراق الفساد تخوّفوا من الجيش البويهي، لو يكن لهم حضور بارز إلا في سنة(373هـ/ 984م) لما دخلوا إلى البصرة، بعد وفاة عضد الدولة (ت372هـ /983م).

ب- مظاهر التسلط البويهي على مقدرات الدولة العباسية:

كان أول خليفة في هذا العصر هو **المستكفي بالله**(333-334هـ/945-946م) الخليفة العباسي الثاني والعشرين، ومن سوء حظه أنه نجا من تسلط الأتراك ليجد نفسه تحت رحمة البويهيين، ورغم محاولته استرضاءهم وفق ما ذكرناه سابقاً، إلا أن معز الدولة البويهي وضعه تحت الإقامة الجبرية، مع نفقة يومية، ثم توجس منه، فقام بإهانته في مشهد مؤسف لا يليق بمقام الخلافة، بعد أن جره جنديين من الديلم وأسقطاه من كرسيه وطرحاه على الأرض، ثم أخذوه ماشيا إلى بيت معز الدولة فسمل عيناه وخلعه من الخلافة، ثم سجنه إلى أن مات في سنة 338هـ/ 950م، وقد كان المستكفي يتظاهر بالتشيع وهذا ربما حتى يوافق عقيدة البويهيين.

لم يكن الخليفة الذي جاء من بعده بأحسن حالاً منه، وهو **الخليفة الثالث والعشرين المطيع لله**(334-363هـ/946-974م)، وكان كالأسير عند معز الدولة البويهي الذي قرر له نفقة قدرها مئة دينار في اليوم فقط، وقد استهل خلافته بتدهور الأحوال في بغداد واشتد الغلاء حتى قيل أن الناس أكلوا الجيف والروث وماتوا على الطرق، وبيع العقار بالرغفان .

في سنة 235هـ/947م أزال معز الدولة الويهي الحجر على الخليفة المطيع وأعاده إلى دار الخلافة لكنه استحوذ على جميع مؤسسات الدولة بما في ذلك الحسبة والشرطة وحتى القضاء، لكن تعيين القضاة كان يحتاج إلى تقليد رسمي من الخليفة لذلك فإنه امتنع عن تقليد كل من أراده البويهيون .

ولأن البويهيين كانوا من غلاة الشيعة فإنهم شجعوا عقائد الرافضة ومن صور ذلك إحياء طقوس عاشوراء مثل اللطم والنياحة في شوارع بغداد أول مرة سنة 352هـ/963م، وإحياء عيد الغدير قبلها بسنة وكتابة لعن الصحابة على مساجد بغداد، ورغم ذلك فإن البويهيين ظلوا متخوفين من ردة فعل العامة في بغدد، ومن صور تسلطهم أيضاً

أنهم كما قلنا سابقا أحدثوا إمارة وراثية فحين وفاة معز الدولة (ت356هـ/967م) أقيم مكانه ابنه بختيار الذي لقبه المطيع: "عز الدولة" .

وقد واصل بختيار على نهج والده معز الدولة في قهر الخليفة إذ أنه صادر ممتلكاته في سنة 362هـ/973م فقال له المطيع: (**أنا ليس لي غير الخطبة فإن أحببت اعتزلت**)، فشدد عليه حتى باع قماشه وفي سنة 363هـ/974م مرض المطيع فخلع نفسه غير مكره، ورغم طول مدة خافته 29 سنة إلا أنه كان مستضعفا مع بني بويه.

بعده جاء **الخليفة الرابع والعشرون الطائع لله**(363-381هـ/974-992م) الذي تولى الخلافة في أسوأ حال، ففي السنة التي تولي فيها أقيمت الخطبة والدعوة بالحرمين للمعز العبيدي، وفي سنة 364هـ/975م دخل عضد الدولة البويهي وقطع الخطبة للطائع في مساجد بغداد وبذلك فقد الخليفة آخر رموزه، إلى أن أعيدت له الخطبة لاحقا، في المقابل حكم العبيديون أقاليم الغرب والبويهيون أقاليم الشرق، ولم تضعف الخلافة في زمن كما ضعفت في عهد الطائع لدرجة أنه فوض جميع أمور الرعية وتدبيرها لعضد الدولة البويهي ولم يبقى للخليفة سوى تسيير شؤونه الخاصة.

ثم بوفاة عضد الدولة البويهي372هـ/983م دخل أبناؤه في صراع على السلطنة ويتوارثون الإمارة، وظل الخليفة متفرجا ينتظر في كل مرة تقليد المنتصر أو الوريث، وأما عامة الناس فكانوا يعانون الغلاء، ويتخوفون الفتن المحيطة بالدولة، وقد تعرض الخليفة الطائع إلى الخلع والتنحية من منصب الخلافة على يد بهاء الدولة البويهي وذلك راجع بالأساس إلى النزعة الشيعية لهذا الأخير، وظُلمه الكبير، فكان ينصُر مذهبهم، وينافح عنهم لدرجة أنّه ألقى القبض على الخليفة الطائع لله؛ لأنّه حبس شيخ الشيعة ابن المعلّم الذي كان من خواصّه.

بعد الطائع جاء **الخليفة الخامس والعشرون القادر بالله** (381-422هـ/ 992-1031م) وهو من خيرة خلفاء بني العباس، وعرف بانتصاره لأصحاب الحديث على حساب المعتزلة، كما حاول الأمير البويهي بهاء الدولة سنة(394هـ/1004م) تعيّين أحد القضاة الشيعة في منصب قاضي القضاة، لكن الخليفة القادر بالله رفض ذلك، وحاول بهاء الدولة مرّة ثانية سنة(400هـ/1010م) أن يعيّن نقيب العلويّين ولاية قضاء القضاة، فلم يمكنه الخليفة القادر بالله من ذلك أيضًا؛ لأنّ حساسيّة مثل هذه المناصب السياديّة جعلت الخليفة يستميل مستمسكًا بما بقيّ له من صلاحياتٍ دينيّة، من أجل احتوائها، وعدم تمكين البويهيّين من بسط نفوذهم المطلق عليها، فالخليفة كان يراهن في صراعه مع البويهيّين على سلطته الدينيّة .

ومنذ الرّبع الأوّل من القرن(5هـ/11م)، استرجع الخليفة البعض من نفوذه السيادي وأشار ابن الأثير إلى ذلك الانتعاش؛ إذ يُذْكَرُ عَنِ الخليفة القادر بالله:"كانت الخلافة قبله قد طمع فيها الدّيْلم والأتراك، فلمّا وليّها القادر بالله

أعاد جدّتها، وجدّد ناموسها، وألقى الله هيبته في قلوب الخلق، فأطاعوه أحسن طاعة، وأتمّها، فقد كان حليمًا كريمًا خيِّرًا يحبّ الخير وأهله، ويأمر به، وينهى عن الشرّ، ويبغض أهله"، فأصبحت بعض التيّارات في الاتّجاه العسكري تعترف بسيادة الخليفة، وبأنّه مالك الأمور؛ لذلك لما جاء الخليقة القائم بأمر الله سار على نفس نهج والده الخليفة القادر بالله، فعُرف عنه التديّن والعلم والورع والزهد والعناية بالأدب.

بعد وفاة القادر استخلف ابنه **القائم بأمر الله**(422-467هـ/1031-1075م)، كان مجتهدا في إعادة هيبة الخلافة إلا أنَّ عصره شهد واحدة من أكبر الهزات التي كادت تعصف بالخلافة العباسية وكانت سببا في أخذها منعطفا حاسماً غير مسار الدولة، وهو ما عرف تاريخياً بفتنة: "البساسيري" أو أرسلان التركي؛ المعروف ب"البساسيري" أحد القادة العسكريين للبويهيين ثم العبيديين، عظُم أمرُه، فاستولى على البلاد وَتَهَيَّبَتْهُ أمراء العرب والعجم، ودُعِيَ له على كثير من المنابر العراقيّة والأهواز ونواحيها، وَجَبَى الأموال، ولم يكن القائم بأمر الله يقطع أمرًا دونه، ثمَّ صَحَّ عند الخليفة سوء عقيدته، وشهد عنده جماعة من الأتراك أنّ البساسيري أخبرهم على عزمه على نهب دار الخلافة، والقبض على الخليفة، فكاتب الخليفة أبا طالب محمد ابن ميكال سلطان الغز، المعروف بطغرل برك، وهو بالري يستنهضه في القدوم.

وقدم طغرلبك في 447هـ/1056م، في المقابل كاتب البساسيري صاحب مصر، فأمده بالأموال، ثم دخل البساسيري بغداد في 450هـ/1059م ومعه الراية المصرية، ووقع القتال بينه وبين الخليفة، ودعي لصاحب مصر المستنصر بجامع المنصور ببغداد، وزيد في الأذان: "حي على خير العمل"، ثم خطب له في كل الجوامع إلا جامع الخليفة، ودام القتال شهرًا، ثم قبض البساسيري على الخليفة وحبسه، إلى أن نجح طغرلبك لاحقاً في رد الخليفة إلى داره مكرمًا سنة 451هـ/1060م ودخل بأبهة عظيمة والأمراء والحجاب بين يديه، وجهز طغرلبك جيشًا فحاربوا البساسيري، فظفروا به، فقتل، وحمل رأسه إلى بغداد.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه في ظلّ صراع الخلفاء العبّاسيّين مع الأمراء البويهيّين كان الفقهاء والعلماء والقضاة والوُعّاظ ورجال الدين بصفة عامّة يشكّلون تيّارًا وحزبًا يؤيّد الخليفة، ويدعّمه، وقد أدرك الخلفاء العبّاسيون خلال مرحلة التسلّط البويهي قيمة هذا التيّار، وثِقَلَ النفوذ الديني فظلوا متمسكين به، ويستخدمونه أحيانًا كثيرة كورقة ضغط على الأمراء البويهيّين، من أجل تقييّد تصرفاتهم، والحدّ من تسلّطهم، ونفوذهم.

ولما ازداد أمْرُ الخلافة السياسي إدبارًا، وبدأ نفوذ الخلفاء يتهاوى في مسألة الحكم، لم يبق لهم سوى النفوذ الديني، ومن خلفه العلماء؛ لذلك يقول البيروني(ت440هـ/1049م)، وهو من العلماء الذين عايشوا تلك المرحلة واصفًا هذا النفوذ الديني، وعلاقته بالخلافة: "أنّ الدولة، والمِلْك قد انتقل من آل العبّاس إلى آل بُويه، والذي بقيّ في أيدي العبّاسيّة؛ إنّما هو أمر ديني اعتقادي، لا مَلَكي دنياوي"، فمنذ دخول معزّ الدولة البويهي زالت مظاهر السيادة للعبّاسيّين، بحيث أنّ الخليفة لم يبق له وزير، إنّما كان له كاتبٌ يُدبّر أقطاعه وإخراجاته، لا غير، وصارت

الوزارة لمعزّ الدولة البويهي يستوزر لنفسه من يريد، وبذلك أصبح الخليفة رئيسًا دينيًا للإسلام، لا حاكمًا سياسيًا، ويقول المقريزي:"... انتقل المُلْك والدولة ... من بني العبّاس إلى بني بُويه الديلمي، فلم يبق بيد بني العبّاس من الخلافة إلّا اسمها فقط، من غير تصرّف في مُلْك، بحيث صار الخليفة منهم في مدّة الدولة البويهيّة ... إنّما هو كأنّه رئيس الإسلام".